نقد شيخ الإسلام ابن تيمية للإمام أبي حامد الغزالي رحمهما الله - دراسة عقدية

د. علي بن عبد العزيز بن علي الشبل *

سلم البحث في ١٤٣٥/٨/٢هـ اعتمد للنشر في ١٤٣٥/٩/٢٨هـ

ملخص البحث:

تدعو الحاجة إلى ترسّم منهج أهل السنة والجماعة في النقد العقدي خاصة فضلا عن النقد العلمي على وجه العموم. ولا أحسن في تطبيق هذا المنهج من استمداده من الكتاب والسنة، ومن خلال هذا النموذج العملي نحتاج إلى تتبع طرق راسخي العلم من العلماء في تأصيل ذلك، ومن ثم في إعماله وتطبيقه. وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يحدد منهج أهل السنة في النقد إجمالاً، حيث تميز في هذا الصدد تأصيلاً وتفريعاً. لأجل هذا فقد تأملت في تاريخ المسلمين العلمي، وشواهده النقدية، فرأيت شيخ الإسلام تناول علمين بالنقد العلمي العقدي، وأطراهما عديداً، وهما الإمامان: أبو حامد الغزالي وفخر الدين الرازي، فاخترت مدارسة كلامه ونقده للإمام الغزالي، ليكون عنواناً لمنهج جدير بالبحث والدرس، من مناهج أهل السنة والجماعة في نقد المخالف، بعيداً عن الظلم والتعسّف، والحيف والتخلُّف.

Abstract:

There is a need to draw a curriculum Sunnis in cash on faith private as well as public scientific criticism. Nor in the best application of this approach Astmadadh from the Book of Allah and the Sunnah of His Prophet, and through practical model we follow the methods of science Raskhi of scientists in rooting it, and then in the realization and implementation. This Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah approach determines the Sunnis in cash Altogether, where he distinguished himself in this regard and his Islamic Tafrie. For this has been contemplated in the history of Muslim science, and corroborating reports of cash, and I saw Shaykh al-Islam addressing teachers exchange scientific on faith a lot, namely: Al-Ghazali and Al-Razi, I chose to study his words and his criticism of Ghazali to be the title of a curriculum worthy of research and study of the curricula of the Sunnis in cash violator, away from injustice and abuse, and injustice and underdevelopment. □

* الأستاذ المشارك بجامعة المجمعة – وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله r وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}[النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما}[الأحزاب: ٧٠,٧١].

أما بعد: فلا زالت قضية النقد تثير أشجاناً عريضة في قلوب المسلمين، بل وعبر تاريخهم ومواقف علمائهم، يتعدى ذلك إلى واقعهم وماضيهم العلمي والعملي، والحضاري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي. وينال النقد العلمي من ذلك المحل الأعلى، ويتبؤ منه مكان الرأس من الجسد، وهو يقوم على أسس دينية عقدية منهجية مدارها على اتباع الحق لا الهوى، والعدل والإنصاف لا الظلم والإجحاف، والتدليل والتعليل الصحيح لا الرمي بالتخرص والظنون، والتجرد لا التعصب، والعلم لا الجهل....

كما قال العلامة ابن القيم في نونيته:

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما   يَلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب   ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحلَّ بالإنصاف أفخر حُلةٍ   زينت بها الأعطاف والكتفان

ثم يأتي النقد العقدي المنهجي في عين النقد العلمي، وهو الذي وافق الغيرة على العقيدة والإيمان، وباعثه النصح لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكتابه وللمؤمنين، ومستمده الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة، وما درج عليه سلف الأمة وعلماء الإسلام في مأثورهم وسطورهم ومنقول أحوالهم.

فإذا جنح عن هذا المنهج بتعصب، أو اتباع هوى، أو محض تقليد بغير

هدي، أو تحزّب وتصنيف مذمومين... الخ. ظل داعيته وزلّ في نفسه وفي قوله وظلّل من يتبعه في قوله ومسلكه، وإن ظنَّ جهلاً أو تعالما أن يسير على نهج أهل السنة والجماعة بدعواه وادعائه.

لأجل هذا كله ولغيره تداعت البواعث، وتحققت الحاجات إلى ترسّم منهج أهل السنة والجماعة في النقد العقدي خصوصاً فضلا عن النقد العلمي من حيث العموم. ولا أحسن في تطبيق هذا المنهج من استمداده من الوحي الشريف في الكتاب والسنة والله عز وجل يقول في آية المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

ومن خلال الأنموذج العملي نحتاج تتبع طرائق راسخي العلم من محققي العلماء في تأصيل ذلك، ومن ثم في إعماله وتطبيقه. وهذا شيخ الإسلام يرسم شأن النقد ومنهج أهل السنة فيه إجمالاً بقوله: (...وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْبَابِ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الرَّجُلَ الْعَظِيمَ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَهْلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهِمْ، قَدْ يَحْصُلُ مِنْهُ نَوْعٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ مَقْرُونًا بِالظَّنِّ، وَنَوْعٌ مِنَ الْهَوَى الْخَفِيِّ، فَيَحْصُلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَا لَا يَنْبَغِي اتِّبَاعُهُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ. وَمِثْلُ هَذَا إِذَا وَقَعَ يَصِيرُ فِتْنَةً لِطَائِفَتَيْنِ: طَائِفَةٌ تُعَظِّمُهُ فَتُرِيدُ تَصْوِيبَ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَاتِّبَاعَهُ عَلَيْهِ، وَطَائِفَةٌ تَذُمُّهُ فَتَجْعَلُ ذَلِكَ قَادِحًا فِي وِلَايَتِهِ وَتَقْوَاهُ، بَلْ فِي بِرِّهِ وَكَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، بَلْ فِي إِيمَانِهِ حَتَّى تُخْرِجَهُ عَنِ الْإِيمَانِ. وَكِلَا هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ فَاسِدٌ. وَالْخَوَارِجُ وَالرَّوَافِضُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ ذَوِي الْأَهْوَاءِ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الدَّاخِلُ مِنْ هَذَا. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الِاعْتِدَالِ عَظَّمَ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ، وَأَحَبَّهُ وَوَالَاهُ، وَأَعْطَى الْحَقَّ حَقَّهُ، فَيُعَظِّمُ الْحَقَّ، وَيَرْحَمُ الْخَلْقَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ تَكُونُ لَهُ حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ، فَيُحْمَدُ وَيُذَمُّ، وَيُثَابُ وَيُعَاقَبُ، وَيُحَبُّ مِنْ وَجْهٍ وَيُبْغَضُ مِنْ وَجْهٍ. هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ. وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ)(١).

إذا تقرر هذا فإنه من المعلوم عند علماء أهل السنة والجماعة تميز شيخ

الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد وهو المنهج النقدي العلمي علمياً وعقدياً، وتأصيلاً وتفريعاً.. لأجل هذا فقد تأملت في تاريخ المسلمين العلمي، وفي شواهده النقدية، فرأيت شيخ الإسلام تناول علمين بارزين بالنقد العلمي العقدي كثيراً، وأطراهما عديداً، ونوعَّ الكلام فيهما بسطاً عظيماً، وهما:

١-الإمام أبو حامد الغزالي.

٢-والشيخ أبو عبد الله الفخر الرازي.

وكلامه ومناقشاته وردوده على الثاني أكثر منه على الأول، فاخترت مدارسة كلامه ونقده للشيخ أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي ليكون عنواناً لمنهج حريٍّ بالبحث والدرس من مناهج أهل السنة والجماعة في نقد المخالف، بعيداً عن الظلم والتعسّف، والحيف والتخلُّف... فجاء هذا البحث منتظماً بهذه المقدمة.

- ثم تعريف موجز بالإمام الغزالي.

- ثم **تمهيد** مرحلي تاريخي عقدي: في دخول المذهب الأشعري على الصوفية.

- ثم جاءت المعالم العامة في نقد شيخ الإسلام للإمام أبي حامد الغزالي مبثوثة من خلال سبعة مباحث:

١-المبحث الأول: مذهب الغزالي في الاعتقاد ومنهجه فيه.

٢-المبحث الثاني: المراحل التي مرَّ بها أبو حامد الغزالي.

٣-المبحث الثالث: المصادر التي أثرت جلياً على أبي حامد الغزالي.

٤-المبحث الرابع: تعريف شيخ الإسلام لبعض ما في كتب أبي حامد الغزالي.

٥-المبحث الخامس: نقد كتاب "إحياء علوم الدين".

٦-المبحث السادس: نقد العلماء لكتاب "إحياء علوم الدين".

٧-المبحث السابع: اعتذار شيخ الإسلام لأبي حامد الغزالي وتحسين بعض أجوبته.

حامداً ربي جلَّ وعلا، ومصلياً على رسوله صلى الله عليه وسلم، وسائلاً لمولاي وإلهي حسن القصد، وسلامة السبيل، وعظيم النوال، وكريم العفو، والنصح له سبحانه ولكتابه ولرسوله والمسلمين وعامتهم.

فما كان فيه من حق وصواب فهو محض توفيق وتسديد، وهداية من ربي وحده لا شريك له. وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان وأعوذ بالله منه، ومن ذلك. والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثواباً، والحق قصدت والخير أردت ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو حسبي ونعم الوكيل.

موجز ترجمة الشيخ أبي حامد الغزالي(٢)

حظي الشيخ أبو حامد الغزالي مع عدد قليل من العلماء رحمه الله بالصيت الذائع، والشهرة الواسعة، والعناية بتراجمهم وعلومهم ومؤلفاتهم قديماً وحديثاً. وما هذه الكلمات بالتي تؤدي حقه أو بعضه، ولكن لا بد من الإشارة إلى شيء مما يعرف به أبو حامد عيناً وحالاً! وهذا هو المقصود من هذا الإيجاز، والله ولي التوفيق.

- فهو الشيخ البحر المصنف المتوقد ذكاءً أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزَّالي – بتشديد الزاي نسبة إلى صنعة الغزل، وبتخفيفها نسبة إلى قرية غزالة –، الملقب بحجة الإسلام.
- ولد بمدينة طوس سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي بها سنة (٥٠٥هـ)، وعمره خمس وخمسون سنة.
- درس على جماعة، أشهرهم أبو المعالي الجويني إمام الحرمين (ت ٤٧٨)، ولازمه، ومنه أخذ المذهب الأشعري، وقد تأثر به كثيراً، وهذا من دلائل أثر الشيوخ!
- تولي التدريس في أشهر مدارس عصره ومراكز العلم فيه، وهي المدرسة النظامية، التي أنشأها الوزير نظام الملك، حيث كانت هذه المدارس محاضن نشر الأشعرية.
- ارتحل من بلده إلى نيسابور والعراق ومكة والمدينة، ثم الشام وبيت المقدس، ثم بغداد سنة (٤٩٩هـ)، ثم نيسابور، فرجع بعدها إلى طوس، وتوفي بها.
- له التصانيف المشهورة في الفقه، منها "الوجيز"، وفي الأصول، وأهمها "المستصفى"، وفي عقيدة الأشاعرة "الاقتصاد في الاعتقاد" وغيره، وفي الرد على الباطنية "الفضائح"، وفي الزهد والسلوك أحفل كتبه مادة وأشهرها "إحياء علوم الدين"،

وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

- حصل لأبي حامد اضطراب نفسي كبير أثر في مراحله المتعاقبة في: فلسفته، عقيدته، وتصوفه وسلوكه، حتى اعتزل ١٠ سنين.
- مراحل تنقله: وهو الأطوار الأربعة التي مرَّ عليها أبو حامد رحمه الله، وهي: الأشعرية. ثم الفلسفة. والتصوف. ثم الرجوع إلى الحديث، حيث مات وصحيح البخاري على صدره!
- أبو حامد الغزالي ركن في مذهب الأشاعرة، وعليه التعويل عند المتأخرين منهم؛ كالفخر الرازي[٣]، وبسببه حصل تطور في مذهب الأشاعرة في مواجهة الاتجاهات الفلسفية، مقابل التخفيف في مواجهة المعتزلة الجهمية.
- يعتبر أبو حامد الغزالي وأبو القاسم القشيري هما من أدخلا المذهب الأشعري لمذهب التصوف وذلك في القرن الخامس الهجري!
- وهو رحمه الله صرَّح بأنه مزجي البضاعة في الحديث[٤]، ولهذا دخل عليه ما دخل من الغلط عقدياً ومنهجياً وحديثياً وسلوكياً.

رحمه الله أبا حامد، وعامله بعفوه، وستر عليه عيوبه، وتجاوز عنه برحمته، وأدخله جنته بعفوه، وبصالح عمله، وجمعه بها مع سلفه الصالحين ولنا ولعلمائنا ولجميع المسلمين. آمين.

تمهيد في دخول الأشعرية على الصوفية:

إن من المعلوم أن الشيخ أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (المتوفى سنة ٣٣٠هـ) هو المؤسس الحقيقي لمذهب الأشاعرة، وإليه تنتسب طوائفهم. وقد مرَّ أبو الحسن خلال حياته بعدة أطوار حيث نشأ ردحاً من الزمن في أحضان المعتزلة ربيباً عند أبي علي الجُبَّائي زوج أمه، ثم تلميذاً ومناظراً لهم نحواً من أربعين سنة. حتى رجع بعدها عن الاعتزال، ونقد مذهبهم، مبيناً عورهم وتهافتهم، في المجالس والنوادي والتصانيف.

لكنه تلقَّف مذهب عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب في القول بنفي الصفات الإلهية

الاختيارية، وبقيت عنده بعضاً من أصول المعتزلة كدليل الأعراض ونحوه حتى عاد في آخر حياته عن هذا المذهب، ورجع إلى جادة أهل السنة والجماعة حقاً، أتباع السلف الصالح، وألف كتابه الشهير: "الإبانة عن أصول الديانة". ولكن رجوعه رحمه الله لم يكن بعد ذلك رجوعاً محضاً حيث بقيت شوائب قليلة نتيجة السنين الكثيرة من عمره التي طواها في مذهبي المعتزلة، ثم الكلابية، وإن كان قد صرح في "الإبانة" و"مقالات الإسلاميين" عند ذكر عقيدته أنه على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل، وقائلٌ بما قال به! ولكن ما ينبغي ملاحظته أن أبا الحسن انشغل في طوره الثاني وهو كلابيته بالرد على المعتزلة ومناظرتهم، والتقعيد لمذهبه في نفي الصفات الاختيارية عن الله. وهو الذي عُرف بعدُ بمذهب الأشاعرة، حيث استمرت المناوءة بين المعتزلة والأشاعرة عدة قرون بعده.

وجرَّاءوا نلاحظ في تصانيف أئمة الأشاعرة في العقيدة ردودهم ومناقشاتهم للمعتزلة كثيراً جداً. وهي التي أثمرت العداوة الشديدة بين المذهبين، لاسيما وكان الأشاعرة والحالة هذا يعتبرون أنفسهم المدافعين عن أهل السنة والجماعة، وعن حوزة الكتاب والسنة في مقابل أهل الاعتزال ولهذا يعَدُّون أنفسهم أهل السنة والجماعة[٥] والمتكلمين عنهم.

وكان أن اتحدت الوجهة بين الكلابية وأبي الحسن الأشعري في مواجهة المعتزلة، مع سبق الكلابية الزمني في هذه المواجهة، ولاسيما في مسألة كلام الله، التي تابع فيها هؤلاء جماعات من العلماء الحنابلة وغيرهم، وفي هذا يقول شيخ الإسلام في "الرسالة الكيلانية": (وكان أيضاً قد نبغ في أواخر عصر أبي عبد الله [الإمام أحمد] من الكلابية ونحوهم، أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، الذي صنَّف مصنفات رد فيها على الجهمية المعتزلة وغيرهم، وهم من متكلمة الصِّفاتية. وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن فيها نوع من البدعة، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته، ولكن له في الرد على الجهمية –نفاة الصفات والعلو– من الدلائل والحجج وبسط

القول ما بيَّن به فضله في هذا الباب، وإفساده لمذاهب نفاة الصفات بأنواع من الأدلة والخطاب، وصار ما ذكره معونة ونصيراً وتخليصاً من شبههم لكثير من أولي الألباب، حتى صار قدوة وإماماً لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها، وإن كانوا قد شركوهم في بعض أصولهم الفاسدة، التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول، ومخالفته لسنة الرسول. وكان ممن اتبعه الحارث المحاسبي، وأبو العباس القلانسي، ثم أبو الحسن الأشعري، وأبو الحسن بن مهدي الطبري، وأبو العباس الضبعي، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو حاتم البستي، وغير هؤلاء المثبتين للصفات المنتسبين إلى السنة والحديث، المتلقبين بنظار أهل الحديث. وسلك طريقه ابن كلاب في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة والصفات الاختيارية، وأن الرب يقوم به الأول دون الثاني، كثير من المتأخرين: من أصحاب مالك والشافعي وأحمد: كالتميمين أبي الحسن التميمي وابنه أبي الفضل التميمي وابن ابنه رزق الله التميمي، وعلى عقيدة الفضل التي ذكر أنها عقيدة أحمد اعتمد أبو بكر البيهقي فيما ذكره من مناقب أحمد في الاعتقاد. وكذلك سلك طريقة ابن كلاب هذه أبو الحسن بن سالم وأتباعه السالمية، والقاضي أبو يعلى وأتباعه: كابن عقيل، وأبي الحسن الزاغوني، وهي طريقة أب المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر ابن العربي وغيرهم، لكنهم افترقوا في القرآن. والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يحذرون عن هذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب، ويحذرون عن أصحابه، وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية)اهـ[٦].

ومع هذا انتشر المذهب الأشعري بعد أبي الحسن بسرعة في البلاد الإسلامية ولاسيما المشرق الإسلامي منها، وكان لهذا الانتشار عدة أسباب أرادها الباري سبحانه وتعالى، منها، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة في أن القرآن كلام الله، حيث قال:

١-كثرة الحق الذي يقولون، وظهور الأثارة النبوية عندهم.

٢-لبسهم ذلك بمقاييس عقلية، بعضها موروث عن الصابئة، وبعضها مما ابتدع في

الإسلام، واستيلاء ما في ذلك من الشبهات عليهم، وظنهم أنه لم يمكن التَّمسكُ بالأثارة النبوية من أهل العقل والعلم إلا على هذا الوجه.

٣- ضعف الأثارة النبوية الدافعة لهذه الشبهات، والموضحِّة لسبيل الهدى عندهم.

٤- العجز والتفريط الواقع في المنتسبين إلى السنة والحديث:

- تارة يروون ما لا يعلمون صحته.

- وتارة يكونون كالأُميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور [٧].

٥- دعم قوة السلطان للمذهب الأشعري المتمثل في تبني بعض الوزراء والولاة له، وتأييد دعاته وعلمائه، وتقريبهم والعناية بهم، كما سيأتي في نموذج الوزير نظام الملك، وكما حمل صلاح الدين –عفا الله عنه– الناس على عقيدة الأشاعرة[٨]، وكذا غيره.

٦- تبني كثير من أتباع المذاهب الفقهية للمذهب والدعوة إليه ولاسيما عند الشافعية ومتأخري المالكية فهو فيهم واضح جلي[٩].

إن هذا التبني من أتباع المذهب الشافعي لمعتقد الأشاعرة لهو من أقوى الأسباب في ذيوع المذهب الأشعري، لقوة المذهب الشافعي وانتشاره الواسع وكثرة المنتسبين إليه، وقل مثل ذلك في المذهب الماتريدي عند الأحناف!

٧- مداخلة المذهب الأشعري للتصوف في القرن الخامس من الهجري تخصيصاً، بواسطة: أبي القاسم القشيري وأبي حامد الغزالي الصوفيين الأشعريين! هذه المداخلة التي أكسبت المذهب الأشعري نفوذاً كما أكسبت انتشاراً وذيوعاً في وسطهم!

معالم نقد شيخ الإسلام للإمام أبي حامد الغزالي:

أبو حامد إمام مشهور، ومتوقد ذكاءً، سهلت عليه كثير من العلوم، لكنه مع هذا ليس معصوماً، وقد ذكر العلماء له أخطاءً عديدة، وما من شرط العالم أن لا يخطئ، فما كان منها باجتهاده؛ فهو مأجور عليه، معذور فيه، والله يغفر له، ومن المهم بيان ما يُحذر منه بمنهج عدل وعلم وأدب ونصح للمخالف والأمة.

وأحسن ما يناسب هذه الحال تتبع ما تيسر(١٠) من كلام الشيخ العالم الناقد شيخ الإسلام ابن تيمية –وهو من هو في فهمه وعلمه وإنصافه وعدله– في نقد حال الشيخ أبي حامد رحمهما الله. ولذا سأورد قوله الدال على المقصود دون تطويل يجمع كل مقالته عن الغزالي، ولأن المقام يكتفي بالنقل الواحد الجامع إن شاء الله.

المبحث الأول

مذهب الغزالي في الاعتقاد ومنهجه فيه:

الإمام أبو حامد الغزالي من أعمدة المذهب الأشعري وكبار منظريه، ولهذا كثيراً ما يذكره شيخ الإسلام في عداد منظريهم؛ كما يقول في "الاستقامة" (١/٤٧-٤٨)(١١): (فصل مُهِمّ عَظِيم الْقدر فِي هَذَا الْبَاب وَذَلِكَ أَن طوائف كَبِيرَة من أهل الْكَلَام من الْمُعْتَزلَة... وَمن اتبعهم من الأشعرية كالقاضى أَبى بكر [هو الباقلاني] وأبى المعالى [هو الجويني] وأبى حَامِد [هو الغزالي] والرازي وَمن اتبعهم من الْفُقَهَاء يعظمون أَمر الْكَلَام الَّذِي يسمونه أصُول الدّين، فيجعلون مسَائِله قطعية، ويوهنون من أمر الفقه الذي هو معرفة أحكام الأفعال، حتى يجعلوه من باب الظنون لا العلوم) اهـ.

وهؤلاء الأربعة المذكورون هم أشهر رجالات المذهب الأشعري وأساطينه، وعلى تصانيفهم مع أبي الحسن الأشعري تقوم أصوله وقواعده، ومن ثم تطوره وتوسعه في أبواب الاعتقاد المختلفة. والشيخ كذلك يعدُّ أبا حامد الغزالي ضمن أعلام الصفاتية الكلامية مع ابن كلاب وأتباعه، فيقول في "درء تعارض العقل والنقل" (١/٣٢٤): (... قلت: هذا جواب جمهور الصفاتية الكلامية –كابن كلاب والأشعري وأصحابهما– ، وبه يجيب القاضي أبو بكر وأبو المعالي والتميميون من أصحاب أحمد والقاضي أبو يعلى وابن عقيل وابن الزاغوني وأمثالهم، وبه أجاب الغزالي في "تهافت الفلاسفة"، وزيَّفه عليه ابن رشد الحفيد، وبه أجاب الآمدي، وبه أجاب الرازي في بعض المواضع...) اهـ.

• مصطلح "الصفاتية": الصفاتية اسم لمجموع المتكلمين في الصفات الذين وقعوا في انحراف فيها بالتأويل والتفويض مع الإثبات، وإن كان قد يشمل عموم المثبتين

للصفات!، وجمهور الصفاتية مصطلح على أهل التأويل لبعض الصفات من الكلامية وأتباعهم، ولهذا جاء في ثلاث نسخ من مخطوطة "الدرء" هكذا: (..جمهور الصفاتية الكلابية)؛ فهم من سار على طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب في تأويل الصفات الاختيارية خصوصاً؛ كأبي الحسن الأشعري وأتباعه من الشافعية ومن تأثر بهم من الحنابلة ممن عددهم الشيخ نص الشيخ في "الفتوى الحموية الكبرى" ص(٤) على أن تأويلاته مع غيره من الأشاعرة هي عين تأويلات بشر المريسي المعتزلي.

وأبو حامد في الأصل أشعري، أخذ المذهب الأشعري عن شيخ المذهب في زمانه أبي المعالي الجويني، لكن زاد عليه بإدخاله الفلسفة فيه، ونقله من مواجهة المهذب الأشعري للمعتزلة إلى مواجهة الفلاسفة ثم نقله بعد ذلك وأدخله إلى التصوف. قال شيخ الإسلام في "الدرء" (٥/٢٤٩): (...وأبو حامد تارة يثبت الصفات العقلية متابعة للأشعري وأصحابه، وتارة ينفيها أو يردها إلى العلم موافقة للمتفلسفة، وتارة يقف، وهو آخر أحواله، ثم يعتصم بالسنة، ويشتغل بالحديث، وعلى ذلك مات) اهـ.

والصفات العقلية عند الأشاعرة هي الصفات التي تثبت بطريق العقل؛ حيث أثبتها العقل عندهم، كالصفات السبع المشهورة عندهم، وهي صفات: السمع والبصر والإرادة والعلم والحياة والكلام والقدرة. والصفات التي لا يثبتها العقل الصريح – بزعمهم– ينفونها؛ كالاستواء والنزول. والمقصود من هذا النقل بيان أصل مذهبه الذي عليه نشأ. أما مراحله وأطواره، فسيأتي الكلام عليها عند الكلام على المراحل التي مرَّ بها أبو حامد الغزالي.

وشيخ الإسلام رحمه الله يصفه بأنه من أئمة الجهمية النفاة، أي: جهمية الأشاعرة، وربما وصفه بأنه من فروع الجهمية، من فروع الجهمية المحضة المعطلين للأسماء والصفات[١٢].

قال شيخ الإسلام في "العقل والنقل" (٧/٢٩–٣١): (ومعلوم أن أئمة الجهمية النفاة والمعتزلة وأمثالهم، من أبعد الناس عن العلم بمعاني القرآن والأخبار وأقوال

السلف، وتجد أئمتهم من أبعد الناس عن الاستدلال بالكتاب والسنة، وإنما عمدتهم في الشرعيات على ما يظنونه إجماعاً، مع كثرة خطئهم فيما يظنونه إجماعاً، وليس بإجماع، وعمدتهم في أصول الدين على ما يظنونه عقليات، وهي جهليات، لاسيما مثل الرازي وأمثاله، الذين يمنعون أن يستدل في هذه المسائل بالكتاب والسنة، واعتبر ذلك بما تجده في كتب أئمة النفاة، مثل أبي الحسين البصري وأمثاله، ومثل أبي حامد، والرازي، وأمثالهما...) إلى قوله: (وكذلك الغزالي والرازي وأمثالهما من فروع الجهمية هم من أقل الناس علماً بالأحاديث النبوية وأقوال السلف في أصول الدين ومعاني القرآن، وفيما بلغوه من الحديث، حتى إن كثيراً منهم لا يظن أن السلف تكلموا في هذه الأبواب) اهـ.

• هذا وأبو حامد الغزالي هو أول من أدخل منطق الفلاسفة في أصول المسلمين وخلطه بها، ولهذا تكلم عليه علماء المسلمين نص عليه شيخ الإسلام في "نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان"، في "المجموع" (٢٣١/٩).

والذي دخل على أبي حامد أيضاً مما تطرق بعد ذلك إلى عقيدته ومنهجه، خلطه أقوال الفلاسفة ومناهجهم وحدودهم، بالأحاديث والمعاني الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، حتى قال فيه شيخ الإسلام مشبهاً له، كما في "الدرء" (١٣١/١-١٣٢): (... حتى إن موسى بن ميمون[١٣] صاحب "دلالة الحائرين"، وهو في يهود كأبي حامد الغزالي في المسلمين، يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفة، ويتأولها عليها...).

وأبو حامد الغزالي في مجال البحث والمناظرة والجدل ليس له منهج محدد، حيث صرَّح في كتابه "تهافت الفلاسفة" ص (٦٨) بذلك فقال: (... فألزمهم تارة مذهب المعتزلة، وأخرى مذهب الكرامية، وطوراً مذهب الواقفة، ولا انتهض ذاباً عن مذهب مخصوص).

في هذا قال شيخ الإسلام في "العقل والنقل" (١٦٣/١): (ولهذا تجد أبا حامد في مناظرته للفلاسفة إنما يبطل طرقهم ولا يثبت طريقة معينة، بل هو كما قال:

نناظرهم -يعني: مع كلام الأشعري- تارة بكلام المعتزلة، وتارة بكلام الكرامية، وتارة بطريقة الواقفة. وهذه الطريقة هي الغالب عليه في منتهى كلامه).

وللتمثيل على صدق هذا المنهج في أبي حامد في مسألة كلام الله تبعاً لمذهب الفلاسفة، قال شيخ الإسلام في رسالة الجواب عمن يقول في صفات الله نسب وإضافات من "جامع الرسائل" (١/١٦٣-١٦٤): (وَهَذَا الْقَوْل -في كلام الله- هُوَ قَول المتفلسفة، وَوَقع فِيهِ طوائف من المنتسبين إِلَى الْملَل من الْيَهُود وَالنَّصَارَى، وَمن المنتسبين إِلَى الْمُسلمين، مِمَّن خلط الفلسفة بالتصوف، مثل أهل الْكَلَام الْمَسْئُول عَنهُ وَأَمْثَاله، وَمثل مَا وَقع لأبي حَامِد فِي كتاب "المضنون بِهِ على غير أَهله" الأول وَالثَّانِي، وَنَحْو ذَلِك من المصنفات، مثل "مشكاة الْأَنْوَار" و"مسائل النفخ والتسوية" و"كيمياء السَّعَادَة" و"جواهر الْقُرْآن"، وَمَا يُشِير إِلَيْهِ أَحْيَانًا فِي "الْإِحْيَاء" وَغَيره؛ فَإِنَّهُ كثيراً مَا يَقع فِي كَلَامه مَا هُوَ مَأْخُوذ من كَلَام الفلاسفة،ويخلطه بِكَلَام الصُّوفِيَّة أَو عباراتهم، فَيَقَع فِيهِ كثير من المتصوفة، الَّذين لَا يميزون بَين حَقِيقَة دين الْإِسْلَام وَبَين مَا يُخَالِفهُ من الفلسفة الْفَاسِدَة وَغَيرهَا، لَاسِيمَا إِذا بُني على ذَلِك وَاتَّبَعت لوازمه؛ فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَى قَول ابْن سبعين وَابْن عَرَبِيّ صَاحب "الفصوص" وأمثالهما مِمَّن يَقُول بِمثل هَذَا الْكَلَام، وَحَقِيقَة مَذْهَبهم يؤول إِلَى التعطيل الْمَحْض، وَأَنه لَيْسَ للْعَالم ربّ مباين لَهُ، بل الْخَالِق هُوَ الْمَخْلُوق، والمخلوق هُوَ الْخَالِق).

وانظر أيضاً موافقة أبي حامد الغزالي الفلاسفة في الأصول "الدرء" (٤/٢٨١) وما بعدها.

ففي هذا بيان اضطراب منهج أبي حامد الغزالي في منهجه، وخلطه لمذهب الأشعري بكلام الفلاسفة وعبارات الصوفية، مما يفضي إلى لوازم خطيرة عند فلاسفة الصوفية، مما يؤول إلى غاية التعطيل ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسببه هذا الخلط لطرائق الصوفية والفلاسفة بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، فنتج ذلك الخلط!!، وأيضاً فتح أبو حامد رحمه الله باباً عظيماً للفلسفة ولجت منه القوصية والباطنية إلى الصوفية، والأشعرية، وكتابه "الإحياء" شاهد ذلك.

المبحث الثاني
المراحل التي مرَّ بها أبو حامد الغزالي

من مجمل كلام مترجميه، وتقريرات شيخ الإسلام في مواضع من كتبه أفهم أن أبا حامد تنقل من مرحلة الأشعرية –التأويل– إلى الفلسفة حيث بلعها ولم يستطع مجها حيث أمرضه "شفاء ابن سينا "وثم إلى التصوف والعزلة، وآخر أمره الاعتصام بالحديث والعكوف على "الصحيحين"، حتى مات و"صحيح الإمام البخاري" على صدره، لكنه لم يؤلف في هذه المرحلة الأخيرة ما يدل على رجوعه عما سطَّره وقرَّره قبلُ، هذا ويحسن التنبيه أنه: لو مُدَّ له في عمر أبي حامد الغزالي؛ لأبدع في حديث الرسول أيما إبداع.

وعليه فالمراحل أربع: أشعرية، ففلسفية، فصوفية، ثم سلفية سنية، والحمد لله على هذا.

قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (٢/٥٤-٥٧): (...بَلْ مِثْلُ أَبِي حَامِدٍ لَمَّا حَصَرَ الطُّرُقَ فِي الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ؛ الَّذِي هُوَ النَّظَرُ؛ وَالْقِيَاسُ، أَوْ فِي التَّصَوُّفِ وَالْعِبَادَةِ، الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ وَالْوَجْدُ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ. بَلْ أَبُو حَامِدٍ لَمَّا ذَكَرَ فِي "الْمُنْقِذِ مِنْ الضَّلَالِ" وَ"الْمُفْصِحِ بِالْأَحْوَالِ" أَحْوَالَهُ فِي طُرُقِ الْعِلْمِ وَأَحْوَالِ الْعَالِمِ، وَذَكَرَ أَنَّ أَوَّلَ مَا عَرَضَ لَهُ مَا يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُمْ، وَهُوَ السَّفْسَطَةُ بِشُبَهِهَا الْمَعْرُوفَةِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَعْضَلَ بِهِ هَذَا الدَّاءُ قَرِيبًا مِنْ شَهْرَيْنِ، هُوَ فِيهِمَا عَلَى مَذْهَبِ السَّفْسَطَةِ، بِحُكْمِ الْحَالِ، لَا بِحُكْمِ الْمَنْطِقِ وَالْمَقَالِ، حَتَّى شَفَى الله عند ذلك المرض... (ثم قال:) انْحَصَرَتْ طُرُقُ الطَّالِبِينَ عِنْدِي فِي أَرْبَعِ فِرَقٍ:

١-الْمُتَكَلِّمُونَ: وَهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُالرأيْ وَالنَّظَرِ.

٢-وَالْبَاطِنِيَّةُ: وَهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ التَّعَلُّمِ، وَالْمُخَصِّصُونَ بِالِاقْتِبَاسِ مِنْ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ.

٣-وَالْفَلَاسِفَةُ: وَهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْمَنْطِقِ. وَالْبُرْهَانِ.

٤-والصُّوفِيَّةُ: يدَعَّونُ أَنهمّ خواص الْحَضْرَةِ، وَأَهْلُ الْمُكَاشَفَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ.

فَقُلْت فِي نَفْسِي: الْحَقُّ لَا يَعْدُو هَذِهِ الْأَصْنَافَ الْأَرْبَعَةَ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمْ السَّالِكُونَ

سُبُلَ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَإِنْ سُدَّ الْحَقُّ عَنْهُمْ، فَلَا يَبْقَى فِي دَرْكِ الْحَقِّ مَطْمَعٌ(١٤).

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَقْصُودَ الْكَلَامِ وَفَائِدَتَهُ: الذَّبُّ عَنْ السُّنَّةِ بِالْجَدَلِ، لَا تَحْقِيقُ الْحَقَائِقِ، وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ الْبَاطِنِيَّةُ بَاطِلٌ، وَأَنَّ الْفَلْسَفَةَ بَعْضُهَا حَقٌّ وَبَعْضُهَا كُفْرٌ، وَالْحَقُّ مِنْهَا لَا يَفِي بِالْمَقْصُودِ. ثمُّ ذكَرَ أَنَّهُ أَقبَلَ بهِمتِّهِ علَى طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تَحْصُلُ إلَّا بِعِلْمٍ وَعَمَلٍ، فَابْتَدَأَ بِتَحْصِيلِ عِلْمِهِمْ مِنْ مُطَالَعَةِ كُتُبِهِمْ، مِثْلَ "قُوتِ الْقُلُوبِ" لِأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ، وَكُتُبِ الْحَارِثِ المحاسبي، والمتفرقات الْمَأْثُورَةِ عَنْ الْجُنَيْد وَالشِّبْلِيِّ وَأَبِي يَزِيدَ، حَتَّى طَلَعَ عَلَى كُنْهِ مَقَاصِدِهِمْ الْعِلْمِيَّةِ... إلَى أَنْ قَالَ: انْكَشَفَ لِي فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْخَلَوَاتِ أُمُورٌ لَا يُمْكِنُ إحْصَاؤُهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا، وَالْقَدْرُ الَّذِي أَذْكُرُهُ لِيُنْتَفَعَ بِهِ: أَنِّي علمَتْ يقينًا أَن الصُّوفيةَ همُ السَّالِكُونَ لطِرَيقِ اللهِّ خَاصةً، وَأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحْسَنُ السِّيَرِ، وَطَرِيقَتَهُمْ أَصْوَبُ الطُّرُقِ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ... قُلْت: يُسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ أَسَاسَ الطَّرِيقِ هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، كَمَا قَرَّرْته غَيْرَ مَرَّةٍ، وَهَذَا أَوَّلُ الْإِسْلَامِ؛ الَّذِي جَعَلَهُ هُوَ النِّهَايَةَ. وَبَيَّنْت الْفَرْقَ بَيْنَ طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ، وَطَرِيقِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِين، لكِنْ هُوَ لَمْ يَعْرِفْ طَرِيقَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِنْ الْعَارِفِينَ؛ فَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهَا، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ الْمَحْضَةُ الشَّاهِدَةُ عَلَى جَمِيعِ الطُّرُقِ).

هذا تقرير شيخ الإسلام المنصف لحال أبي حامد وقتئذٍ.

وللعلم فقد ذكر هذا أبو حامد قبل أن يؤوب أخيراً إلى الحديث والعكوف على "الصحيحين" حتى مات وصحيح البخاري على صدره، حتى قال شيخ الإسلام في مواضع منها "بيان تلبيس الجهمية" (١٠٢/٣-١٠٣): (...وأبو حامد من خيارهم – أي الفلاسفة والمتكلمين – وأعلمهم وأدينهم، وهو مع هذا يكفر الفلاسفة، فضلاً عن أن يضللهم تارة، وتارة يجعل ما كفّرهم به من العلم المضنون به على غير أهله. ويضلل المتكلمين تارة، ويجعل طريقهم ليس فيها بيان للحق، وتارة يجعلها عمدته وأصله الذي يُضلل من خالفه. وكذلك تارة يقول في الصوفية الأقوال المتناقضة؛ فتارة يجعلهم خاصة الأمة، ويفضلهم على الفقهاء، وتارة يمنع إعطاءهم الزكاة، أو يوجب

عليه الاكتساب، مع إباحته إعطاء الزكاة للمتفقهة. وإن كان في آخر عمره مال إلى طريقة أهل الحديث، وكان كثير المطالعة لـ"صحيح البخاري"، وبذلك ختم عمله، وعليه مات، وهو أفضل أحواله، والله تعالى يغفر لنا ولسائر إخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم...).

فها هو رحمه الله بعد الحيرة والاضطراب في الكلام والفلسفة والتصوف -كما سبق في بيان منهجه - يُختم له بما رأيت. فنسأل ربنا حسن الخاتمة وجميل العاقبة في الدين والدنيا والآخرة.

وأختم بهذه العبارة المختصرة للشيخ ابن تيمية، وأحيل إلى باقي المواضع في تأكيد هذا المقصود، قال رحمه الله في "منهاج السنة" (٥/٢٦٩): (وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة، بعد أن نظر فيما كان عنده من طريق النظّار وأهل الكلام والفلسفة، وسلك ما تبين له من طرق العبادة والرياضة والزهد، وفي آخر عمره اشتغل بالحديث؛ بالبخاري ومسلم)[١٥]اهـ.

إن استحضار هذه المراحل، وهذا الاضطراب شيء مهم جداً في نقد حال الإمام الغزالي أبي حامد، ومن ثم الحكم عليه بالحق لا بالباطل، وبالعدل لا بالحيف، والله المستعان. وهذا الشأن في تبصر الحال والأحوال التي مرَّ عليها الشخص المنقود يجب اعتبارها وتحققها قبل الحكم على أحدٍ من أهل العلم قديماً وحديثاً، فهذه هي طريقة الراسخين في العلم، المحققين فيه كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما.

المبحث الثالث
المصادر التي أثرت جليًا على أبي حامد الغزالي

سبق أن أبا حامد -عفا الله عنه- خلط منطق الفلاسفة وأقاويلهم بالآثار النبوية والمعاني الشرعية وحاول المزج بينها. والشيخ ابن تيمية جمع تلك المصادر بعبارة جامعة سهلة، فقال في "بغية المرتاد" (٤٤٨-٤٥١) في جملة نفيسة: (وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في "الإرشاد" و"الشامل" [يقصد أبا المعالي الجويني[١٦]] ونحوهما مضموما إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر

الباقلاني[١٧]، لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني ومذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ونحو ذلك، وضم إلى ذلك ما أخذه من كلام أبي زيد الدبوسي[١٨] وغيره في القياس ونحوه. وأما في الكلام؛ فطريقته طريقة شيخه [أي أبو المعالي الجويني إمام الحرمين] دون القاضي أبي بكر. وشيخه في أصول الفقه يميل إلى مذهب الشافعي، وطريقة الفقهاء التي هي أصوب من طريقة الواقفة. ومادة أبي حامد في الفلسفة من كلام ابن سينا[١٩]، ولهذا يقال: أبو حامد أمرضه "الشفاء"، ومن كلام أصحاب"رسائل إخوان الصفا" و"رسائل أبي حيان التوحيدي"، ونحو ذلك. وأما في التصوف، وهو أجل علومه، وبه نبل؛ فأكثر مادته من كلام الشيخ أبي طالب المكي[٢٠]، الذي يذكره في المنجيات[٢١] في الصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والإخلاص؛ فإن عامته مأخوذ من كلام أبي طالب المكي، لكن كان أبو طالب أشدَّ وأعلى. وما يذكره في ربع المهلكات؛ فأخذ غالبه من كلام الحارث المحاسبي[٢٢] في "الرعاية"؛ كالذي يذكره في ذم الحسد والعجب والفخر والرياء والكبر ونحو ذلك.

وأما شيخه أبو المعالي؛ فمادته الكلامية أكثرها من كلام القاضي أبي بكر ونحوه، واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي [المعتزلي] على مختارات له، وكان قد فسَّر الكلام على أبي قاسم الإسكافي عن أبي إسحاق الإسفرائيني، ولكن القاضي هو عندهم أولى. ولقد خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة. وأما كلام أبي الحسن نفسه؛ فلم يكن يستمد منه؛ وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس.

والرازي مادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني؛ فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي، وله مادة قوية من كلام أبي الحسين البصري، وسلك طريقته في أصول الفقه كثيراً، وهي أقرب إلى طريقة الفقهاء من طريقة الواقفة. وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني أيضا ونحوهما، وأما التصوف، فكان فيه ضعيفاً كما كان ضعيفاً في الفقه. ولهذا يوجد في كلام هذا وأبي حامد ونحوهما من الفلسفة ما لا يوجد في كلام أبي المعالي وذويه.

ويوجد في كلام هذا وأبي المعالي وأبي حامد من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه.

ويوجد في كلام أبي الحسن من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد ابن كلاب الذي أخذ أبو الحسن طريقه.

ويوجد في كلام ابن كلاب من النفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة.

وإذا كان الغلط شبراً صار في الأتباع ذراعا ثم باعا حتى آل هذا المآل؛ فالسعيد من لزم السنة).

وهذا الاستطراد سقته كاملًا لمناسبة المقام.

وانظر "بيان تلبيس الجهمية" (٣/٩٣-١٠٣) المخطوط. وقال أثناءه ص (١٠٠): (وأبو حامد كانت مواده في العلوم الإلهية من المتكلمين والفلاسفة والصوفية الذين فهم كلامهم). قال هذا أثناء نقده لما جاء في "إحياء علوم الدين" من نقله لتأويل الإمام أحمد لأحاديث (الحجر الأسود يمين الله...)، و(إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن...)، و(أنا جليس من ذكرني...)؛ فطالعها هناك.

وقال في "المجموع" (٤/٥٤): (والغزالي في كلامه مادة فلسفية كثيرة بسبب كلام ابن سينا في "الشفاء" وغيره، و"رسائل إخوان الصفا"، وكلام أبي حيان التوحيدي، وأما المادة المعتزلية في كلامه؛ فقليلة أو معدودة...)اهـ.

فقرر شيخ الإسلام هاهنا هذه المصادر التي أوقعت أبا حامد الغزالي فيما وقع فيه من الاضطراب والتحول التي جعلته يتنقل في مراحله سالفة الذكر. وهذا التوضيح الجلي من شيخ الإسلام يدل على عمق فهمه وعظيم سبره لأحوال هؤلاء: الغزالي والرازي الفخر وأمثالهما.

المبحث الرابع
تعريف شيخ الإسلام لبعض ما في كتب أبي حامد الغزالي

ليكن معلوماً بادئ ذي بدء أنه لا يخلو كتاب من كتب شيخ الإسلام

المطولة إلا وفيها ذكر لأبي حامد، ونقل عن كتبه، وهذا استقر لي بالتتبع من نقوله وكتبه رحمه الله.

ومن المهم مطالعة تفاصيل نقول الشيخ من كتب أبي حامد المختلفة، ومناقشة الشيخ لما ينقله منها؛ فمن منهجه أنه ينقل جملاً طويلة من كتاب أبي حامد، ثم يناقشها تفصيلاً،وربما أحال إلى مواضع أخر فصَّل فيها القول أبسط وأشمل. وهذا إن دلَّ على شيء؛ فإنما يدل على أن كتب أبي حامد الغزالي من موارد الشيخ المهمة، خصوصاً في النقول عن الفلاسفة والمتكلمين والصوفية ونقدهم الباطنية. وأهم كتب الغزالي وأمثلها "إحياء علوم الدين"، والكلام عليه في البحث القادم إن شاء الله.

ووضَّع الشيخ ابن تيمية قاعدة لا بد من اعتبارها في كتب الغزالي مستصحبين لحاله حتى ما ختم له به، فقال في "مجموع الفتاوى" –في "نقض المنطق"[٢٣]– (٤/٦٣–٦٦): (وَتَجِدُ أَبَا حَامِدٍ الْغَزَالِيَّ – مَعَ أَنَّ لَهُ مِنْ الْعِلْمِ بِالْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ وَالْكَلَامِ وَالْأُصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَعَ الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَحُسْنِ الْقَصْدِ، وَتَبَحُّرِهِ فِي الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ أُولَئِكَ – يَذْكُرُ فِي كِتَابِ "الْأَرْبَعِينَ" وَنَحْوِهِ كِتَابَهُ: "الْمَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ"، فَإِذَا طَلَبْت ذَلِكَ الْكِتَابَ وَاعْتَقَدْت فِيهِ أَسْرَارَ الْحَقَائِقِ وَغَايَةَ الْمَطَالِبِ،وجَدتْه قوْلَ الصَّابِئَةِ الْمُتَفَلْسِفَةِ بِعَيْنِهِ، قَدْ غُيِّرَتْ عِبَارَاتُهُمْ وَتَرْتِيبَاتُهُمْ. وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ حَقَائِقَ مَقَالَاتِ الْعِبَادِ، وَمَقَالَاتِ أَهْلِ الْمِلَلِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَاكَ هُوَ السِّرُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْمُكَاشِفُونَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْحَقَائِقَ بِنُورٍ إلَهِيٍّ. فَإِنَّ أَبَا حَامِدٍ كَثِيرًا مَا يُحِيلُ فِي كُتُبِهِ عَلَى ذَلِكَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ، وَعَلَى مَا يَعْتَقِدُ أَنهَّ يوُجدَ ُ للِصُّوفيَّةِ وَالْعِبَادِ بِرِيَاضَتِهِمْ وَدِيَانَتِهِمْ مِنْ إدْرَاكِ الْحَقَائِقِ وَكَشْفِهَا لَهُمْ حَتَّى يَزِنُوا بِذَلِكَ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَلِمَ بِذَكَائِهِ وَصِدْقِ طَلَبِهِ مَا فِي طَرِيقِ الْمُتَكَلِّمِينَ والمتفلسفة مِنْ الِاضْطِرَابِ، وَآتَاهُ اللَّهُ إيمَانًا مُجْمَلًا –كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ–، وَصَارَ يَتَشَوَّفُ إلَى تَفْصِيلِ الْجُمْلَةِ، فَيَجِدُ فِي كلَامِ الْمَشَايِخِ والصُّوفيَّةِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إلَى الْحَقِّ، وَأَوْلَى بِالتَّحْقِيقِ مِنْ كَلَامِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِين، وَالْأَمْرُ كَمَا وَجَدَهُ، لكَنْ لمَ ْ يبلْغُه ُ منْ الْميراثِ النبَّوَيِّ الذَّي عنِدْ َ خاَصةَّ ِ

الْأُمَّةِ مِنْ الْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ، وَمَا وَصَلَ إلَيْهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، حَتَّى نَالُوا مِنْ الْمُكَاشَفَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمُعَامَلَاتِ الْعِبَادِيَّةِ مَا لَمْ يَنَلْهُ أُولَئِكَ. فَصَارَ يَعْتَقِدُ أَنَّ تَفْصِيلَ تِلْكَ الْجُمْلَةِ يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ طَرِيقٌ غَيْرُهَا؛ لانسْدِادِ الطرِّيقةِ الخْاصةِ السُّنِّيَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَنْهُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ بِهَا وَمِنْ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تَقَلَّدَهَا عَنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِين، حَتَّى حَالُوا بِهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ.

وَلِهَذَا كَانَ كَثِيرَ الذَّمِّ لِهَذِهِ الْحَوَائِلِ وَلِطَرِيقَةِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا ذَاكَ لِعِلْمِهِ الَّذِي سَلَكَهُ، وَالَّذِي حُجِبَ بِهِ عَنْ حَقِيقَةِ الْمُتَابَعَةِ لِلرِّسَالَةِ، وَلَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَقَائِدُ فَلْسَفِيَّةٌ وَكَلَامِيَّةٌ؛ كَمَا قَالَ السَّلَفُ: (الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ)، وَكَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ).

وَلِهَذَا صَارَ طَائِفَةٌ مِمَّنْ يَرَى فَضِيلَتَهُ وَدِيَانَتَهُ يَدْفَعُونَ وُجُودَ هَذِهِ الْكُتُبِ عَنْهُ، حَتَّى كَانَ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ –فِيمَا عَلَّقَهُ عَنْهُ– يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ "بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ" مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَيَقُولُ: إنَّمَا هُوَ تَقَوُّلٌ عَلَيْهِ. مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ [أي: كتب أبي حامد المذمومة] مَقْبُولُهَا أَضْعَافُ مَرْدُودِهَا، وَالْمَرْدُودُ مِنْهَا أُمُورٌ مُجْمَلَةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا عَقَائِدُ وَلَا أُصُولُ الدِّينِ.

وَأَمَّا "الْمَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ" فَقَدْ كَانَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ الْعُلَمَاءِ يُكَذِّبُونَ ثُبُوتَهُ عَنْهُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْخِبْرَةِ بِهِ وَبِحَالِهِ؛ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ كَلَامُهُ؛ لِعِلْمِهِمْ بِمَوَادِّ كَلَامِهِ، وَمُشَابَهَةِ بَعْضِهِ بَعْضًا، وَلَكِنْ كَانَ هُوَ وَأَمْثَالُهُ –كَمَا قَدَّمْت– مُضْطَرِبِينَ، لَا يَثْبُتُونَ عَلَى قَوْلٍ ثَابِتٍ؛ لِأَنَّ عِنْدَهُمْ مِنْ الذَّكَاءِ وَالطَّلَبِ مَا يَتَشَوَّفُونَ بِهِ إلَى طَرِيقَةِ خَاصةِ الْخَلْقِ، ولَمْ يقُدَرَّْ لهَمُْ سلُوُكُ طرَيِقِ خَاصةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ وَرِثُوا عَنْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، وَهُمْ أَهْلُ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ، وَأَهْلُ الْفَهْمِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ e، وَأَتْبَاعِ هَذَا الْعِلْمِ بِالْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ ،كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالَةُ.

ولِهذَاَ كَانَ الشَّيْخُ أَبُو عمَرْوٍ بْنُ الصلَاحِ يَقُولُ –فِيمَا رَأَيْته بِخَطِّهِ–: أَبُو حَامِدٍ كَثُرَ الْقَوْلُ فِيهِ وَمِنْهُ، فَأَمَّا هَذِهِ الْكُتُبُ – يَعْنِي: الْمُخَالِفَةَ لِلْحَقِّ –، فَلَا يُلْتَفَتُ إلَيْهَا، وَأَمَّا

الرَّجُلُ، فَيُسْكَتُ عَنْهُ وَيُفَوَّضُ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ. وَمَقْصُودُهُ أَنَّهُ لَا يُذْكَرُ بِسُوءٍ؛ لِأَنَّ عَفْوَ اللَّهِ عَنْ النَّاسِي وَالْمُخْطِئِ، وَتَوْبَةِ الْمُذْنِبِ تَأْتِي عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ، وَذَلِكَ مِنْ أَقْرَبِ الْأَشْيَاءِ إِلَى هَذَا وَأَمْثَالِهِ، وَلِأَنَّ مَغْفِرَةَ اللَّهِ بِالْحَسَنَاتِ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ وَتَكْفِيرُهُ الذُّنُوبَ بِالْمَصَائِبِ تَأْتِي عَلَى مُحَقِّقِ الذُّنُوبِ، فَلَا يَقْدُمُ الْإِنْسَانُ عَلَى انْتِفَاءِ ذَلِكَ فِي حَقِّ مُعَيَّنٍ إِلَّا بِبَصِيرَةٍ،لاَ سيمَّا مع كثرة الإِحْسَانِ والعلم الصحيحِ والعملِ الصالِحِ وَالْقَصْدِ الْحَسَنِ. وَهُوَ يَمِيلُ إِلَى الْفَلْسَفَةِ لَكِنَّهُ أَظْهَرَهَا فِي قَالَبِ التَّصَوُّفِ وَالْعِبَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَلِهَذَا فَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَحتىَ أَخص أَصْحَابِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ: "شَيْخُنَا أَبُو حَامِدٍ دَخَلَ فِي بَطْنِ الْفَلَاسِفَةِ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُمْ، فَمَا قَدَرَ". وَقَدْ حُكِيَ عَنْهُ مِنْ الْقَوْلِ بِمَذَاهِبِ الْبَاطِنِيَّةِ مَا يُوجِب تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِ).

وما هذا التطويل إلا لقصد الذي أشرت إليه، ولأنه ينبئ عن منهج الشيخ ابن تيمية مع أمثال أبي حامد! رحمهم الله.

- وسأحيل إلى نقد شيخ الإسلام لبقية الكتب مصدراً لها باسم كتاب أبي حامد كالآتي:

١- كتاب "مشكاة الأنوار": في "العقل والنقل" (٢٨٢/١٠) أنه موضوع على قواعد المتفلسفة، وفي (٢٧٠/١٠) فيه، وقبلها ص (٢٠٥)، و"جامع الرسائل" (١٦٣/١)، و"منهاج السنة" (٣٨٩/٢، ٢١/٨)، و"المجموع" (٢٣٨/١٣).

٢- كتاب "جواهر القرآن": توسَّع في تحليله ومناقشة بعض ما فيه في "بغية المرتاد"، وما في من نوع كلام القرامطة، وانظر مثلاً في ص (٢٧٦ و٣١٣-٣٩٤) وغيرها، و"العقل والنقل" (٢٢٣/٦)، و"جامع الرسائل" (١٦٣/١-١٦٤).

٣- "إلجام العوام عن علم الكلام"، و"التفرقة بين الإيمان والزندقة": "في العقل والنقل" (٢٧٠/١٠)، وفيه (٢٢٥/٦)، والأول في ذمِّ التأويل مما ألفه آخر عمره. وانظر "المجموع" (٣٥٧/١٧، ٧٢/٤).

٤- كتابي "معيار العالم" و"محك النظر": في المنطق الفلسفي اليوناني في "مجموع الفتاوى" (١٨٤/٩-١٨٥)، و"الرد على المنطقيين" ص(١٥ و١٩). وكذا كتاب

"القسطاس المستقيم" في (٩/١٨٤-١٨٥)، وانظرها في "الرد على المنطقيين" (١٩٤-١٩٥)، وص (١٥)، وذكر فيه أنه تعلمه من الأنبياء - أي: المنطق - وإنما تعلمه من ابن سينا، وهو تعلمه من أرسطو.

٥- كتاب "المستصفى" في أصول الفقه: وفيه أدخل أبو حامد المنطق اليوناني الأرسطي في مقدمته، وهو أول من أدخله في أصول الفقه، وتبعه من تابعه بعد ذلك، حتى زعم فيه أن من لم يحط بالمنطق علماً فلا ثقة له بشيء من علومه، وهو العلم الذي قال فيه الشيخ: ((لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به الغبي))، وانظر المصادر التي قبله.

٦- وكتابي "مقاصد الفلاسفة" و"تهافت الفلاسفة"[٢٤]، وأنه بيَّن فيها كفرهم - أي الفلاسفة- في مسائل قدم العالم، وإنكار العلم بالجزئيات، وإنكار المعاد. وانظرها في: "الرد على المنطقيين" ص (١٩٥)، و"المجموع" (٩/٢٣٠)، و"العقل والنقل" (٦/٢٢٣-٢٣٠).

٧- وكتاب "المضنون به على غير أهله"، تكلم فيه فيما مضى، وأن هناك من شكَّك فيه، والصواب انه من كلامه في "المجموع" (٤/٦٣-٦٩، ٧/٣٥٧)، وانظر: "الرد على المنطقيين" (١٩٥)، و"العقل والنقل" (٥/١٧٢-١٧٣)، (٦/٢٢٣)، (٩/٣٩٨)، و"منهاج السنة" (١/٢٦٧).

٨- وكتابي "مسائل النفح السوية" و"كيمياء السعادة" في "جامع الرسائل" (١/١٦٣-١٦٤)، و"العقل والنقل" (٦/٢٢٤).

٩- "شرح الأسماء الحسنى" في "جامع الرسائل" (٢/١٨٧)، و"نقض التأسيس" (٣/ورقة ٤٧)، من نسخة جامعة الملك سعود، ويسمى ب-. "المقصد الأسنى".

١٠- و"قانون التأويل" في "العقل والنقل" (١/٥).

١١- وكتاب "المنقذ من الضلال" في "العقل والنقل" (٦/٢٢٣).

١٢- وكتاب "الاقتصاد في الاعتقاد" في بيان تلبيس الجهمية نسخة الظاهرية ضمن "الكواكب الدراري" ورقة (٢١٤).

١٣- وكتاب "منهاج العابدين"، انظر "قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

هذه جملة من كتب أبي حامد الغزالي في العقيدة والسلوك، ونقد شيخ الإسلام ابن تيمية لها، وتعريفه بها، وما فيها من الحق وضده بعدل وحكمة وغيرة على عقيدة السلف الصالح، ومنهجهم.

المبحث الخامس

نقد كتاب "إحياء علوم الدين"[(٢٥)]

هذا الكتاب أكبر كتب أبي حامد وأشهرها، وأعرفها به، وهو أكثر كتب أبي حامد التي تناولها شيخ الإسلام في مواضع من مصنفاته، بل ومصدر من أهم مصادره في أقوال الفرق، خصوصاً الصوفية.

والشيخ ابن تيمية أحياناً يصرح بكامل اسمه، وأحياناً يقتصر على قوله: قال أبو حامد في كتاب "الإحياء". وانظر "العقل والنقل" (٥/٣٤٧). ووصفه في "الاستقامة" (١/٨٠) بأنه أجل كتب الغزالي. كما وصفه كذلك في "العقل والنقل" (٧/١٤٥). وهو في "الاستقامة" كثيراً ما ينقل عنه ويتعقبه، وربما أيده وواقفه فيما قرره، وانظر: "بيان التلبيس" في نسخة جامعة الملك سعود (٣/٩٣-١٠٢)، وما معناه في "العقل والنقل" (٥/١٤٩-١٥٠)؛ حيث أحال إلى "بيان التلبيس" بقوله: (وقد بسط في غير هذا المؤلف).

• ولما سئل شيخ الإسلام عن كتابي "إحياء علوم الدين" و"قوت القلوب"؛ قال في "مجموع الفتاوى" (١٠/٥٥١-٥٥٢)، وفي "الفتاوى المصرية الكبرى" (٢/٢٢٩-٢٣٠) مجيباً على ذلك: (أَمَّا كِتَابُ "قُوتِ الْقُلُوبِ" وكِتَابُ "الْإِحْيَاءِ" تَبَعٌ لَهُ فِيمَا يَذْكُرُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ: مِثْلَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالْحُبِّ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّوْحِيدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَأَبُو طَالِبٍ أَعلَمُ بِالْحَدِيثِ والأَثَرِ وكَلَامِ أَهلِ علُومِ الْقُلُوبِ مِنْ الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ، وَكَلَامُهُ أَسَدُّ وَأَجْوَدُ تَحْقِيقًا وَأَبْعَدُ عَنْ الْبِدْعَةِ، مَعَ أَنَّ فِي "قُوتِ

الْقُلُوبِ" أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ وَمَوْضُوعَةٌ وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ مَرْدُودَةٌ. وَأَمَّا مَا فِي "الْإِحْيَاءِ" مِنْ الْكَلَامِ فِي الْمُهْلِكَاتِ؛ مِثْلُ الْكَلَامِ عَلَى الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَغَالِبُهُ مَنْقُولٌ مِنْ كَلَامِ الْحَارِثِ الْمُحَاسَبِيِّ فِي "الرِّعَايَةِ" وَمِنْهُ مَا هُوَ مَقْبُولٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَرْدُودٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُتَنَازَعٌ فِيهِ.

و"الْإِحْيَاءُ" فِيهِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ، لَكِنْ فِيهِ مَوَادُّ مَذْمُومَةٌ؛ فَإِنَّهُ فِيهِ مَوَادُّ فَاسِدَةٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَاسِفَةِ تَتَعَلَّقُ بِالتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، فَإِذَاذَكَرَ مَعَارِفَ الصُّوفِيَّةِ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ

مَنْ أَخَذَ عَدُوًّا لِلْمُسْلِمِينَ أَلْبَسَهُ ثِيَابَ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ أَنْكَرَ أَئِمَّةُ الدِّينِ عَلَى أَبِي حَامِدٍ هَذَا فِي كُتُبِهِ، وَقَالُوا: أمرضَهُ "الشِّفَاءُ"، يَعْنِي "شِفَاءَ ابْنِ سِينَا" فِي الْفَلْسَفَةِ. وَفِيهِ أَحَادِيثُ وَآثَارٌ ضَعِيفَةٌ، بَلْ مَوْضُوعَةٌ كَثِيرَةٌ. وَفِيهِ أَشْيَاءُ مِنْ أَغَالِيطِ الصُّوفِيَّةِ وَتُرَّهَاتِهِمْ.

وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْمَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ الْعَارِفِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الْمُوَافِقِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْعِبَادَاتِ وَالْأَدَبِ مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا يَرِدُ مِنْهُ. فَلِهَذَا اخْتَلَفَ فِيهِ اجْتِهَادُ النَّاسِ وَتَنَازَعُوا فِيهِ)اهـ.

وقال شيخ الإسلام في "المجموع" (٥٥/٤) قال: (... وكلامه في "الإحياء" غالبه جيد، لكن فيه مواد فاسدة: مادة منطقية، ومادة كلامية، ومادة من ترهات الصوفية، ومادة من الأحاديث الموضوعة) اهـ. وفي هذا الصدد أشار الشيخ ابن تيمية إلى من ذمَّه لأجله خصوصاً، أو لغيره من كتبه كما قال في "العقل والنقل" (٢٣٩/٦-٢٤٠): (... لأن أبا حامد يخالف الفلاسفة تارة ويوافقهم أخرى؛ فعلماء المسلمين يذمونه بما وافقهم فيه من الأقوال المخالفة للحق الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم لموافقة لصحيح المنقول وصريح المعقول.

كما وقع من الإنكار عليه أشياء في كلام رفيقه أبي الحسن المرغيناني[٢٦]، وأبي نصر القشيري[٢٧]، وأبي بكر الطرطوشي[٢٨]، وأبي بكر بن العربي[٢٩]، وأبي عبد الله المازري[٣٠]، وأبي عبد الله الذكي، ومحمود الخوارزمي[٣١]، وابن عقيل[٣٢]،

وأبي البيان الدمشقي[٣٣]، ويوسف الدمشقي، وابن حمدون القرطبي القاضي[٣٤]، وأبي الفرج بن الجوزي[٣٥]، وأبي محمد المقدسي[٣٦]، وأبي عمرو بن الصلاح[٣٧]، وغير واحد من علماء المسلمين وشيوخهم.

والمتفلسفة الذين يوافقون ما ذكره من أقوالهم يذمونه لما اعتصم به من دين الإسلام ووافقه من الكتاب والسنة؛ كما يفعل ابن رشد الحفيد هذا وابن الطفيل صاحب رسالة "حي بن يقظان" وابن سبعين وابن هود وأمثالهم.

وهؤلاء وأمثالهم يعظمون ما وافق فيه الفلاسفة، كما يفعل ذلك صاحب "خلع النعلين" وابن عربي صاحب "الفصوص" وأمثالهم...).اهـ.

فتأمل -رعاك الله- هذا النقد المنهجي، والتفصيلي الدقيق والعميق المبني على فهم كلام المنقود: الشيخ أبي حامد الغزالي، وفهم طريقته ومنهجه وحمل كلامه على المحمل اللائق به بلا غلو ولا تفريط، ولا تزيِّد ولا مجاملة فشيخ الإسلام أجمل مميزات كتاب الإحياء ثم فصَّل فيما أُنتقد فيه مؤصلاً له بما يُسمى بالملاحظات المنهجية الإجمالية.

المبحث السادس

نقد العلماء لكتاب "إحياء علوم الدين"

وذلك أن العلماء تعرضوا لنقد كتاب "الإحياء" حيث كانت له القيمة المعتبرة لدى محبي الشيخ أبي حامد الغزالي، لاسيما الصوفية والأشعرية، وممن عدَّد شيخ الإسلام:

١-أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي فيمن وقع منه الإنكار على أبي حامد في كتاب "الإحياء" خصوصاً، حيث نقل عنه الذهبي في ترجمته له (١٩/٤٩٤-٤٩٦)، ومما قال: في كتاب "الإحياء"، (وهو لعمر الله أشبه بإماتة علوم الدين...). وقال - رحمه الله- قبله: (أنبأنا ابن علاَّن، عن الخشوعي، عن الطرطوشي؛ أنه كتب هذه الرسالة جواباً عن سائل سأله من الأندلس عن حقيقة أمر مؤلف "الإحياء"، فكتب إلى عبد الله بن مظفر: سلام عليك؛ فإني رأيت أبا حامد وكلَّمته، فوجدته امرءاً وافر الفهم والعقل، وممارسة العلوم، وكان ذلك معظم زمانه، ثم خالف طريقة العلماء،

ودخل في غمار العمال، ثم تصوَّف، فهجر [أي: تركها] العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، ثم سابها وجعل يطعن على الفقهاء بمذاهب الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل ينتحي عن الفقهاء والمكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين...فلما عمل كتابه "الإحياء"؛ عمد فتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أمِّ رأسه، فلا في علماء المسلمين قرَّ، ولا في أحوال الزاهدين استقر. ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله e، فلا اعلم كتاباً على وجه بسيط الأرض أكثر كذباً على الرسول منه. ثم شبَّكه بمذاهب الفلاسفة ورموز الحلاج ومعاني "رسائل إخوان الصفا".

فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده، فما أقرب تضليله. وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب فلعمري إذا انتشر بين من لا معرفة له بسمومه القاتلة، خيف عليهم أن يعتقدوا إذاً صحة ما فيه؛ فكان تحريقه في معنى ما حرَّقته الصحابة من الصحف والمصاحف التي تخالف المصحف العثماني)اهـ.

والإمام الطرطوشي إنما ذكر هذا وعنَّف؛ لما فيه من السم المدهون بالعسل، والذي ينطلي -بلا شك- على من لا معرفة عنده بتلك الطرائق، كما هو حال الأعم الأغلب ممن عكف عليه، فتركه أوجب عليهم من مطالعته[٣٨]. بالفعل فقد أحرق الإحياء سنة (٥٠٣هـ) في دولة المرابطين بسعاية الشيخ محمد بن علي بن حمديه (٥٠٨) لدى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين.

٢- ومن العلماء الذين اشتهر عنهم تعقب "الإحياء" ممن عدَّدهم الشيخ ابن تيمية أبو عبد الله محمد المازري الصقلي (٥٣٦هـ)، صاحب شرح مسلم المسمى ب-. "المعلم"، وهو في الفروع من أئمة المالكية، ومشربه ليس بعيداً عن أبي حامد الغزالي رحمهما الله.

ألف أبو عبد الله نقده وسماه "الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء"

فقد نقل الذهبي في "السير" (٣٣٠/١٩) عن الجبلي في "تاريخه" أنه قال: (وقد رأيت كتاب "الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء" للمازري، وفيه: ولقد أعجب عن

قوم من المالكية يرون مالكاً الإمام يهرب من التحديد ويجانب أن يرسم رسماً، وإذ كان فيه أثرٌ ما أو قياس ما؛ تورعاً وتحفظاً من الفتوى فيما يحمل الناس عليه، ثم يستحسنون من رجل فتاوى بناها على ما لا حقيقة له، وفيه كثير من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، لفق فيها الثابت بغير الثابت، وكذا ما أورده عن السلف لا يمكن ثبوته كله، وأورد من ترنمات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يجل موقعه، لكن مزج فيه النافع بالضار...).

وذكر جملاً أخر يطول المقام بذكرها؛ فحبذا مطالعتها في "السير" (٣٤٠-٣٤٢) لمن شاء!

٣- كما نقل عن القاضي أبي عبد الله بن حمدين القرطبي بعده (٢٣٢-٣٣٣) قولاً في ذمِّه وتخطِّئته، والتنبيه على أهم أغلاطه، مما سق أكثره.

وقد أشار الذهبي في "السير" أيضاً إلى نقد قاضي الجماعة أبو عبد الله بن حمدين القرطبي (٣٣٢/١٩-٣٣٣).

٤- ونقل الذهبي في "السير" أيضاً (٢٣٧/١٩) نقداً لأبي بكر العربي في كتابه "شرح الأسماء الحسنى" في مسألة القدرة... وأثنى على نقده.

٥- كما ذكر ردَّ ابن الجوزي على "الإحياء"، فقال (٣٤٢/١٩):

قال أبو الفرج بن الجوزي: صنف أبو حامد "الإحياء"، وملأه بالأحاديث الباطلة، ولم يعلم بطلانها، وتكلم على الكشف، وخرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكوكب والقمر والشمس اللواتي رآهن إبراهيم أنوار هي حجب الله عز وجل، ولم يُرد هذه المعروفات!! وهذا من جنس كلام الباطنية.

وقد ردَّ ابن الجوزي على أبي حامد في كتاب "الإحياء"، وبيَّن خطأه في مجلدات، سماه كتاب "الأحياء" اهـ. هو بفتح الهمزة. وهذا الكتاب لم يظهر لنا!

الله أكبر فعجَّل الله بظهور هذا الكتاب.

٦- وفي هذا الصدد يوجد في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (١٢٩/٣-١٤٣) رسالة للعلامة الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب (١٢٢٥-١٢٩٣هـ) هي الرسالة التاسعة عشرة إلى من بلغه من بعض من يشتغل بكتاب "الإحياء" يقرؤه على العامة، جمع فيها أقوال شيخ الإسلام والذهبي وابن العربي وسبط ابن الجوزي وابن الصلاح وأحمد الجيلي وابن حمدين القرطبي والطرطوشي وابن عساكر وابن تومرت تلميذ أبي حامد والمازري... فانظرها وحواشيها، ولولا الإطالة؛ لأجملت كلام هؤلاء مما لم يتكرر.

٧- وإن أنسى لا أنسى ما عمله الحافظ العراقي في كتابه "المغني عن حمل الأسفار" في تخريجه لأحاديث الإحياء، والحمد لله أنه طبع بحاشيته، وكذا ما فعله الزبيدي، ورحم الله الجميع، وأجزل لهم المثوبة.

هذا وكتب العلماء في نقد "الإحياء" أو الثناء عليه ومدحه كثيرة، وفيما سبق الكناية للإشارة إلى المقصود.

وبعد؛ فإن التنبيه على الخطأ ونقده ليس عيباً في المخطئ ولا حطّاً لقدره.

مَنْ ذا الَّذي تُرْضَى سَجاياهُ كُلُّها كَفَى المَرءُ نُبلاً أنْ تُعَدَّ مَعايِبُه

ولولا النصح لله ولرسوله e ولدين الله ولعباده المسلمين، بل ولأبي حامد رحمه الله نفسه، ما تعرض لهذا أولئك العلماء الربانيون، ولا معصوم من الخطأ أحد إلا الأنبياء في التبليغ.

• تنبيه: والمقصود؛ فما في كتب أبي حامد الغزالي رحمه الله وكتب وغيره على ثلاثة أحوال:

١-الأول: ما كان حقًّا وصدقًا، فيقبل بلا نزاع، وهو كثير والحمد لله.

٢-الثاني: ما كان خطأً وباطلاً، فهو مرفوض مردود عليه،وهو غير قليل، وأحسن أحواله فيه أنه مأجور على اجتهاده، وإن جانب الصواب.

٣-الثالث: التفصيل فيما هو محتمل لذا أو ذاك، فيبقى على احتماله، ويجب السكوت عنه، وإحسان الظن بقائله، خلا ما ظهر لأهل العلم ترجيح أحدهما بالقرائن والسياق ومعرفة الحال، فيرجع إلى الأوليين.

وهذا المنهج له نظائر عديدة عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع غير الإمام

الغزالي، كالفخر الرازي وابن عربي الطائي الصوفي، وعبد القادر الجيلاني... وغيرهم، وكذا له نماذج عديدة كما في موقف الإمام ابن القيم من شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي الأنصاري (٤٨١هـ) وغيرهم ولا سيما في كتاب "مدارج السالكين" الذي شرح فيه كتاب "منازل السائرين" وأوضح كلامه وبيَّن معتمداً على حسن الظن من الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري الهروي ، مقدماً الحق عليه، وحاملاً كلامه على أحسن محامله، حتى عجز عن ذلك في بعض المواضع اليسيرة.

ولا يظن ظان أن تتبع نقد العلماء للعالم وبيان خطئه خصوصاً في مسائل الاعتقاد من الإساءة في العلماء أو تحقيرهم...إلخ، بل هذا هو ما يرتضيه أولئك العلماء، بل ما فعلوه بمن قبلهم، لكن عند التجرد لله ولإبانة الحق يبقى المقصد محموداً شرعياً. لا لتحقيق أهواء ومقاصد نفسية أو حزبية أو خاصة!

المبحث السابع
اعتذار شيخ الإسلام لأبي حامد
وتحسِّين بعض أجوبته

لما كان أبو حامد الغزالي كغيره من العلماء، له الصواب والخطأ؛ فإن لهما أسباباً، وها هنا أشار شيخ الإسلام إلى بعض الأسباب التي أدت بأبي حامد إلى الخطأ والزلل.

١-ذكر الأحاديث الموضوعة والواهية ما قاله في "العقل والنقل"(١٤٩/٧): (.. أبو حامد ليس له من الخبرة بالآثار النبوية والسلفية ما لأهل المعرفة بذلك، الذين يميزون بين صحيحه وسقيمه، ولهذا يذكر في كتبه من الأحاديث والآثار الموضوعة والمكذوبة ما لو علم أنها موضوعة لم يذكرها) اهـ.

مع أن أبا حامد نفسه صرح في "قانون التأويل" أنه مزجي البضاعة من الحديث، وهو في آخر عمره عكف على الحديث. ومن طالع كتاب الحافظ العراقي "المغني عن حمل الأسفار" وقف على هذا الذي قرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية.

ويقول بعض العلماء: لو مُدَّ له في عمره؛ لأظهر الله منه عجائب؛ لأن الرجل يتوقد ذكاءً، وحُصِّلت له أسباب الفهم والمعرفة والاستعداد لها.

٢-كلام أبي حامد فيه حق وباطل في الجملة، قال الشيخ في "درء تعارض العقل والنقل" (٦/٥٦-٥٧): (...وإنما يجعل الفناء في هذا التوحيد هو غاية العارفين صوفية هؤلاء الملاحدة، كابن الطفيل صاحب رسالة "حي بن يقظان"، وأمثال لهذا يستأنسون بما يجدونه من كلام أبي حامد موافقاً لقولهم؛ إذ كان في كثير من كلامه ما يوافق الباطل من قول هؤلاء، كما في كثير من كلامه ردٌّ لكثير من باطلهم)اهـ.

٣-اضطراب طريقة أبي حامد الغزالي. قال شيخ الإسلام في "المجموع" (١٣/٢٣٨) في رجوعه عن ما في كتبه من الباطل: (...وممن سلك ذلك صاحب "مشكاة الأنوار" وأمثاله، وهي مما أعظم المسلمون إنكاره عليه، وقالوا: أمرضه "الشفاء"، وقالوا: دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج، فما قدر، ومن الناس من يطعن في هذه الكتب، ويقول: إنها مكذوبة عليه، وآخرون يقولون: بل رجع عنها، وهذا أقرب الأقوال؛ قد قد صرّح بكفر الفلاسفة في مسائل، وتضليلهم في مسائل أكثر منها، وصرح بأن طريقتهم لا توصل إلى المطلوب) اهـ.

فتأمل هاهنا أن الشيخ ابن تيمية يقرِّب أن يكون الشيخ أبو حامد الغزالي قد رجع عن أقوال الفلاسفة كما هو ظاهر حاله.

هذه مجمل أسباب الانحرافات في كتب الشيخ أبي حامد الغزالي التي دارت عليها اعتذارات شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو من القوة السبر والعدل والإنصاف ما يقرُّ به أهل الإنصاف كما قال تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[المائدة: ٨].

● ولئن كان أكثر ما سبق من مثالب الغزالي وعثراته، فإن له من القول الجيد المسدد والأحكام الموفقة ما يقرب من ذلك، حتى كان هذا هو آخر ما استقر عليه أمره، لكن الأول أشهر عنه لانشغاله به في أكثر حياته وتصانيفه.

فمما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية من ثمين قوله وجميل عبارته كثير،

هذه نماذج منه.

(أ) في ذمه للمناهج الفلسفية وكلامهم قال الشيخ في "الرد على المنطقيين" (١٩٨): (والمقصود هنا أن كتب أبي حامد، وإن كان فيها كثير من كلامهم الباطل، إما بعبارتهم أو بعبارة أخرى؛ فهو في آخر أمره يبالغ في ذمهم، ويبين أن طريقتهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها وفسادها أعظم من طريقة المتكلمين، ومات وهو مشتغل بالبخاري ومسلم)[٣٩]اهـ.

(ب) وقال في رده توحيد الفلاسفة في "العقل والنقل" (٢٥١/٨): (ولهذا بيَّن أبو حامد الغزالي وغيره من المسلمين، بل وابن رشد وأمثاله من الفلاسفة، فساد ما ذكروه في هذا التوحيد، وبطلان ما نفوه من هذه المعاني التي سموها تركيباً، وأنه لا حجة لهم على ذلك أصلاً، إلا ما توهموه من مدلول لفظ واجب الوجود بالمعنى الذي تصوره، لا بالمعنى الذي قام عليه الدليل، فكان في حجتهم على ألفاظ مجملة إذا بُيِّنت ظهر فساد كلامهم)[٤٠].

(ج) في تكفير الباطنية والقرامطة والمتفلسفة منهم، فقال في "المجموع" (٢٣٨/١٣): (...فإنه قد صرَّح بكفر الفلاسفة في مسائل، وتضليلهم في مسائل أكثر منها، وصرح بأن طريقتهم لا توصل إلى المطلوب..)اهـ. وقال في "بغية المرتاد" ص (٢٧٩): (وصاحب "الجواهر" [يعني: "جواهر القرآن"، وهو الغزالي] لكثرة نظره في كلامهم واستمداده منهم، مزج في كلامه كثيراً من كلامهم، وإن كان قد يكفرهم بكثير مما يوافقهم عليه في مواضع أخر، وفي أواخر كلامه قطع بأن كلامهم لا يفيد علماً ولا يقيناً، بل وكذلك قطع في كلام المتكلمين، وآخر ما اشتغل به النظر في "صحيحي" البخاري ومسلم، ومات وهو مشتغل بذلك)[٤١] اهـ.

(د)ذكر الغزالي الاتفاق بين السلف على ذمِّ الكلام في "العقل والنقل" (١٦٥/٥ و١٨١-١٨٥)، وفي "المجموع" (٣٥٧/١٧): (...وأبو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره، وصنف "إلجام العوام عن علم الكلام" محافظة على هذا الأصل..) اهـ.

وقد يلاحظ تكرار لبعض المعاني في كلام الشيخ. وما سيق هذا الكلام إلا

لتأكيده، ولأجله كُرِّر.

• ولعل من المناسب أن أختم بهذه الكلمات النيِّرات للشيخ ابن تيمية، قال رحمه الله: (وهذا أبو حامد الغزالي، مع فرط ذكائه وتألهه، ومعرفته بالكلام والفلسفة، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف، ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمره على طريقة الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث) اهـ. من "المجموع" (٧٢/٤).

وهذا في الحقيقة يوجب لنا الاعتبار والعظة فكيف آل حال هذا الذكي المتأله العالم الكبير إلى الحيرة والاضطراب، ويوجب أيضاً لنا دوام سؤال الله الهداية والثبات عليها، وغنى القلب به سبحانه عز وجل عمن سواه، فإن الهادي المهدي من هداه الله، والضال المضل من أضله الله خصوصاً على علم منه ولا حول ولا قوة إلا بالله {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حرَجَا ًكَأَنَّمَا يصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيما ًقدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[الأنعام: ٢٥-٢٧] اللهم اختم لنا بخير واجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أعمارنا أواخرها وتوفنا وأنت راضٍ عنا وعاملنا بعفوك ورضاك وسترك ووالدينا ومشايخنا وسائر علماء المسلمين وعامتهم يا ذا الجلال والإكرام. آمين.

هوامش البحث:

---

(١) "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية": (٥٤٣/٤).

(٢) تناول ترجمة الغزالي جمع من المترجمين في كتبهم، ومن أجودها: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٢٢/١٩-٣٤٦)، و"تاريخ الإسلام"، له في الجزء المخطوط، و"طبقات الشافعية" للحافظ ابن كثير-مخطوط، و"تبيين كذب المفتري" للحافظ ابن عساكر (٢٩١-٣٠٦)، و"طبقات الشافعية" للسبكي (١٩١/٦-٢٨٩)، و"طبقات الشافعية" للإسنوي (٢٤٢/٢-٢٤٥)، و"إتحاف السادة المتقين" (٦/١-٥٣)، و"مقارنة بين الغزالي وابن تيمية"، وأولها الذي هو بلسان نفسه كتابه "المنقذ من الضلال" ص(٧٦) وما بعدها، و"قانون التأويل" له في ص (١٦). كما عقد مؤتمر عن الإمام الغزالي وجهوده العلمية...الخ.

(٣) ولأجل هذا كثيراً ما يذكرهما الشيخ ابن تيمية في باب الصفات خصوصاً والرازي معطوفاً على أبي حامد في مواضع عديدة من مناقشاتهما كتبه؛ فتأمله.

(٤) في كتابه "قانون التأويل" ص (١٦)، وانظر: "مجموع الفتاوى" (١٧٦/٣٥)؛ فإنه قعَّد بهذا قاعدة في أبي حامد وأمثاله إذا ردوا النصوص أو حرفوها.

(٥) ومع أنه لا يُسلَّم لهم هذا الانتساب وتبنيه، ولكن له ما يبرره في هذه الحالة فقط، ولهذا كان شيخ الإسلام يعدهم مع أهل السنة في مقابل المعتزلة والجهمية والرافضة، حيث قال في بيان تلبيس الجهمية ٨٧/٢: (وإن كان في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف، فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم)اهـ. ونقد شيخ الإسلام أبا إسماعيل الهروي لما بالغ في ذمهم، وقرَّر بأنه الأشعرية أقرب الطوائف إلى أهل السنة كما في "الفتاوى" (٢٣٠/٨ و٥٥/٦). ولكن تسمِّي الأشاعرة بأهل السنة لا يعني أنهم هم أهل السنة والجماعة في كل حال، بل هم في الواقع ليسوا أهل السنة والجماعة حقاً وصدقاً، فلا يُسلم لهم هذا الانتساب ولا يُتنازل لهم فيه!

(٦) من الكيلانية ضمن الفتاوى (٣٦٦/١٢-٣٦٨).

(٧) في أول ٣٣/١٢ من المجموع.

(٨) كما نقله المقريزي في "الخطط" ٣٤٣/٢، مع محمدته في إخفاء الرفض من بلاد مصر! وانظر الرسالة الواضحة ٤٣/١-٦٢.

(٩) انظر لحيثيات هذه الأسباب "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" ٤٩٦/٢-٥٠٤.

(١٠) هذا، وإن نخل تأليف الشيخ ابن تيمية وإفراد ما فيها عن الإمام الغزالي وعن غيره ممن هو مثله أو أقل أو أكثر منه لعمل جليل كثير الفائدة، ولو في نقد الشيخ لهم، وكيفيته، ومنهجه. ليكون نبراساً لطلاب العلم، وأنموذجاً في نقد مخالفي أهل السنة على سنن العدل والإنصاف، وبسمت التحري والتوفيق، مما يحقق تطبيقاً منهج السلف الصالح في نقد المخالف وإنصافه، وإنزاله المكان اللائق به. وبهذه المناسبة أشير بهذا مواضيع لطلبة العلم في الأطاريح العليا، مع شحٍّ مواضيع تخصص العقيدة والملل والمذاهب عندهم!

(١١) تنبيه: ما كان في أثناء النقول من توضيح بين معكوفتين [ ] فهو من العبد الفقير!

(١٢) أصناف الجهمية في كلام شيخ الإسلام ثلاثة: الجهمية المحضة وهم الجهم بن صفوان وأتباعه، وهم المرجئة المحضة. وجهمية المعتزلة- نفاة الصفات فقط. وجهمية الأشاعرة والمتكلمين، نفاة بعض الصفات.

(١٣) أبو إسحاق، موسى بن ميمون، طبيب، فيلسوف، يهودي أسلم وحفظ القرآن ثم رجع إلى يهوديته، ولد سنة(٥٢٩) وتوفي (٦٠١هـ)، وكتابه "دلالة الحارين" بالعربية في ثلاثة أجزاء وهو

مطبوع، وحروفه بالعبرية، وهو كتاب فلسفته. "الأعلام" (٧/٣٢٩-٣٣٠)، وانظر أيضاً: "الدرء" (٧/٩٤). وهو فيلسوف اليهودية، وربما دخل معه من ذلك إلى الإسلام.

(١٤) تأمل كيف أعرض عن طريقة السلف: أهل الحديث: أهل السنة والجماعة صدقاً وعدلاً ولعل عذره أنه لا يعرف طريقتهم بناء على ما يأتي –إن شاء الله– من مصادره التي أثرت فيه جلياً رحمه الله وعفا عنا وعنه.

(١٥) وانظر: "درء التعارض" (١/٣٦٢)، و"مجموع الفتاوى" (٤/٧٢، ٩/١٨٥)، و"الرد على المنطقيين" ص (١٩٨).

(١٦) إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني الأشعري الكبير (٤١٩-٤٧٨هـ).

(١٧) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري المشهور المتوفى سنة (٤٠٣هـ).

(١٨) هو عبد الله بن عمر الدبوسي الحنفي الأصولي (٣٦٧-٤٣٠هـ)، له: "تأسيس النظر" و"الأسرار". انظر: "الأعلام".

(١٩) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الفيلسوف، وهو مدخل فلسفة اليونان إلى المسلمين، خبيث، سيئ.

(٢٠) هو محمد بن علي بن عطية المكي أبو طالب (ت٣٨٦هـ)، صاحب كتاب "قوت القلوب"، مشهور بالزهد، وفي كتابه القوت انظر: "المجموع" (١٠/١).

(٢١) حيث قسم الغزالي كتابه "الإحياء" إلى أربعة أقسام: العبادات، والعادات، والمهلكات، والمنجيات.

(٢٢) الحارث بن أسد المحاسبي، شيخ الصوفية، ومنظر فكرهم، كان كلابيًا في الصفات، هجره الإمام أحمد لذلك، مات سنة (٢٤٣هـ).

(٢٣) وفي طبعة "النقض" المستقلة (٥٣-٥٦).

(٢٤) وهذا الكتاب ناقشه الشيخ من خلال كتاب ابن رشد الحفيد "تهافت التهافت" في نقض كتاب أبي حامد هذا في مواضع من "العقل والنقل"، منها: (٣/٣٩٧-٤٠١ و٤١٦-٤٢٦، ٨/١٣٦-١٣٨ و١٦٤-١٧١ و١٨٨-١٩٨ و٢٢٥-٢٣٤، ١٠/١٤١-١٤٩، ٤/٢٨١-٢٨٩، ١٠/١٣٣-١٤٠ و١٨٠-١٨٥، وغيرها).

(٢٥) سبق الكلام أن كتاب "إحياء علوم الدين" قسمه مؤلفه إلى أربعة أقسام: العبادات، والعادات، والمنجيات، والمهلكات.

(٢٦) هو أبو الحسن علي بن أبي بكر الفرغاني المرغيناني الحنفي (٥٣٠-٥٩٣هـ). "النبلاء" (٢٠/٢٣٢)، و"الأعلام" (٤/٢٦٦).

(٢٧) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الصوفي الأشعري (ت٥١٤هـ) "النبلاء" (٢٠/٤٢٤).

(٢٨) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الطرطوشي، من أئمة المالكية (٤٥١-٥٢٠هـ)، ومن علماء أهل السنة والجماعة، له "الحوادث والبدع".

(٢٩) هو القاضي محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي (٤٦٨-٥٤٣هـ)، تلميذ أبي حامد، من علماء الأشاعرة، وصاحب التصانيف التي منها "عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي".

(٣٠) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي (٤٥٣-٥٣٦هـ)، محدث، فقيه مالكي، صاحب الرد على "الإحياء" المسمى "الكشف والإنباء في الرد على الإحياء"، وسيأتي له مزيد بيان إن شاء الله.

(٣١) أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، صاحب تفسير "الكشاف"، المعتزلي، (٤٧٦-٥٣٨هـ)، ومن علماء اللغة والبلاغة.

(٣٢) هو أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (٤٣١-٥١٣هـ)، صاحب الفنون، خالف الحنابلة في الصفات إلى مذهب الكلابية، لكنه تاب منه في آخر عمره..

(٣٣) هو نبأ بن محمد بن محفوظ ابن الحوراني الصوفي، شيخ الطائفة البيانية، وهو سلفي العقيدة، وشافعي المذهب، توفي سنة (٥١١هـ).

(٣٤) هو أبو عبد الله بن محمد بن حمدين القرطبي، قاضي المالكية بها. "الصفدية" (٢١١)، و"النبلاء" (٣٢/١٩).

(٣٥) هو العالم المشهور أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ)، حنبلي، مشهور، نقم عليه التعطيل.

(٣٦) هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الحنبلي، (٥٤١-٦٠٠هـ)، صاحب "عمدة الحديث".

(٣٧) هو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، الشافعي، الشهرزوري، صاحب المقدمة الشهيرة في علم المصطلح، (٥٧٧-٦٤٣هـ).

(٣٨) ونقل الونشريشي (٩١٤هـ) في "المعيار المعرب" جملاً من تلك الرسالة. وانظره فيها (١٨٦/١٢-١٨٧)، وذكر قبله اختلاف بعض علماء المغرب والأندلس في "الإحياء" وإحراقه (١٨٤-١٨٥) من المجلد ذاته.

(٣٩) وانظر: "الدرء" (١٦٢/١)، و"منهاج السنة" (٢٦٩/٥)، و"المجموع" (٧٢/٤).

(٤٠) وانظر في مثل هذا وأشباهه: "العقل والنقل" (١٣٥/١٠-١٤١، ١٤٤، ١٥٢)، وفيه (١٥٨/٨) واستدرك عليه، و(٤٠٢/٣، ٤٠٤-٤٠٥، ٤٣٨، و٤٨١/٤-٤٨٢) في ذم كتب الفلاسفة، انظره في (٧١/٥). ولولا الإطالة لسقت نماذج أخرى من هذه النقول، لكن من أحيل على مليء فليحتل!

(٤١) وانظر: "المجموع/نقض المنطق" (١٩٥/٩).

فهرس المصادر

- القرآن الكريم.
- الإباضية عقدية ومذهباً= د. جابر طعيمة، دار الجيل ط١٤٠٦هـ.
- الإبانة عن أصول الديانة= لأبي الحسن الأشعري، الجامعة الإسلامية ط١٤٠٥هـ.
- آراء الخوارج الكلامية= د. عمار طالبي، الشركة الوطنية – الجزائر ط١٣٩٨هـ.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد= أبو المعالي الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية ط١٤٠٥هـ.
- الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة "الموضوعات الكبرى"= الملا علي قارئ، تحقيق محمد لطف الصباغ، المكتب الإسلامي ط١٤٠٦هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة= ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية ط١٤٠٠هـ
- أصول الدين= عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية ط١٤٠٠هـ
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين= فخر الدين الرازي، تعليق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي ط ١٤٠٧هـ
- الأعلام= خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط١٤٠٠هـ
- أهل السنة والجماعة معالم الانطلاق الكبرى= محمد عبد الهادي المصري. ط دار طيبة ١٤٠٨هـ
- الإيمان = لشيخ الإسلام ابن تيمية، تلخيص حسن الغزالي، دار إحياء العلوم ط١٤٠٦هـ.
- الإيمان أركانه حقيقته نواقضه= محمد نعيم آل ياسين، دار الفالح ط١٤٠٧هـ.
- الإيمان= لأبي عمر العدني، تحقيق ودراسة حمد الحربي، الدار السلفية ط١٤٠٧هـ.
- الإيمان= لأبي عبيد القاسم بن سلام، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي ط١٤٠٣هـ.
- الإيمان= لابن أبي شيبة، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي " ١٤٠٣هـ.
- الإيمان= لمحمد بن منده، تحقيق ودراسة علي ناصر فقيهي، مؤسسة الرسالة ط١٤٠٦هـ.
- البداية والنهاية= الحافظ ابن كثير، مراجعة مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية.
- البدع والنهي عنها= لابن وضاح القرطبي، دار الأمة العربي ط١٤٠٢هـ.
- البرهان في علامات مهدي آخر الزمان = للمتقي الهندي، رسالة علمية قدمها جاسم مهلهل آل ياسين، مطبوعة بالآلة الكاتبة عام
- تاريخ التراث العربي= فؤاد سزكين، طبعة جامعة الإمام ١٤٠٣هـ.
- تاريخ المذاهب الإسلامية= محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.

- تعظيم قدر الصلاة= لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة ١٤٠٦هـ.
- تغليق التعليق على صحيح البخاري= الحافظ ابن حجر، تحقيق ودراسة سعيد القزمي، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.
- تقريب التقريب= الحافظ ابن حجر، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة ١٣٩٥هـ.
- التمهيد= لابن عبد البر، تحقيق عبد الله بن الصديق، طبع الحكومة المغربية عام ١٣٩٩هـ.
- تمهيد الأوائل وتلخيص الرسائل= لأبي بكر الباقلاني، تحقيق عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع= لأبي الحسن الملطي، تعليق محمد زاهد الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٦٨هـ.
- تهذيب التهذيب= لابن حجر، تصوير دارصادر.
- تهذيب الآثار= للطبري، تخريج محمد شاكر، نشر جامعة الإمام طبع المدني.
- التوحيد= لأبي منصور الماتريدي، تحقيق فتح الله خليف، نشر دار الجامعات المصرية.
- التوحيد= لابن خزيمة، تحقيق ودراسة عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد ١٤٠٨هـ.
- تفسير العزيز الحميد= سليمان بن عبد الله بن محمد، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ.
- الخوارج دراسة لنقد منهجم= ناصر السعوي رسالة علمية، مطبوعة الآلة الكاتبة عام ١٤٠٣هـ.
- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة= أحمد بن جلي، مؤسسة الملك فيصل الخيرية عام ١٤٠٨هـ.
- ذم التأويل= لابن قدامة المقدسي، تحيق بدر البدر، الدار السلفية ١٤٠٦هـ.
- السنة= لابن أبي عاصم، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.
- السنة= عبد الله بن أحمد، دراسة وتحقيق محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم ١٤٠٦هـ.
- السنن= لأبي داود سليمان بن أشعث، تحقيق محمد محي الدني عبد الحميد، المكتبة العصرية.
- سنن الترمذي= تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.
- سنن ابن ماجه= ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى البابي وأركانه.
- الشريعة= لأبي بكر الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٦٩هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة= لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق أحمد الحمدان، دار طيبة.
- شرح الأصول الخمسة= للقاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ.
- شرح السنة= لأبي محمد البربهاري، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم ١٤٠٨هـ.
- شرح السنة= للبغوي، تحقيق الأرنؤوط والشاويش، المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

- شرح العقيدة الطحاوية= ابن أبي العز الحنفي، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ.
- شرح الفقه الأكبر= الملا علي قارئ، دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ.
- شرح قصيدة ابن القيم= إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي ١٣٨٢هـ.
- الصحاح= للجوهري، دار العلم للملايين ١٣٩٩هـ.
- صحيح البخاري= ترتيب وفهرسه مصطفي ديب البغا، دار التراث المدينة ١٤٠٧هـ.
- صحيح سنن ابن ماجه= الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم= ترتيب وفهرسه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ١٩٧٢م.
- ضحى الإسلام= أحمد أمين، دار الكتاب العربي ط١٠.
- ضعيف سنن ابن ماجه= الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ.
- الطبقات الكبرى= لابن سعد، دار بيروت ١٣٩٨هـ.
- عقيدة السلف أصحاب الحديث= لأبي إسماعيل الصابوني، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية ١٤٠٤هـ
- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين= الشيخ صالح البليهي، المطابع الأهلية ١٤٠١هـ.
- العواصم من القواصم= لأبي بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية ١٤٠٥هـ.
- العين في الأثر في عقائد أهل الأثر= عبد الباقي البعلي الحنبلي، رسالة علمية قدمها راشد الطيار، مطبوعة على الآلة.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد= عبد الرحمن بن حسن، دار الفكر.
- الفرق بين الفرق= البغدادي، درا الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعه= الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ.
- فهارس صحيح وضعيف سنن ابن ماجه= صنع الشاويش، المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ.
- فيض القدير= للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط= للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ.
- قواعد المنهج السلفي= مصطفى حلمي، دار الأمصار ١٩٧٦م.
- لوامع الأنوار البهية= السفاريني، طبعة آل ثاني وقف في مطابع الأصفهان ١٣٨٠هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد= للهيثمي، مؤسسة المعارف ١٤٠٦هـ.
- مجموع الفتاوى= شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة الملك سعود ١٣٨١هـ وما صور عنها.
- مختار الصحاح= للفخر الرازي، دار الكتاب العربي ١٤٠١هـ
- مختصر شعب الإيمان= للقزويني، حققه عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير ١٤٠٥هـ

- مسألة الإيمان= علي الشبل، ط٢ ١٤٢٧هـ، دار إيلاف بالكويت.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول= حافظ حكمي، دار الكتب العلمية.
- المعتزلة بين القديم والحديث= طارق عبد الحكيم، دار الأرقم بريطانيا ١٤٠٨هـ
- المعجم الأوسط= للطبراني، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ
- معجم البلدان= ياقوت الحموي، دار بيروت ١٣٧٦هـ ودار صادر ١٤٠٤هـ.
- المعجم المفهرس= وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية بأستنبول١٩٨٢م.
- معجم المؤلفين= عمر رضا كحاله، المكتبة العربية ١٣٧٦هـ.
- المصباح المنير= الفيومي، طبعة عمر البابي وشركاه.
- الملل والنحل بهامش الفصل= الشهرستاني، مكتبة السلام العالمية.
- مقالات الإسلاميين= لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة ١٣٨٩هـ.
- المنهاج شعب الإيمان= للحكيمي، دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- منهج الأشاعرة في العقيدة= سفر الحوالي، الدار السلفية ١٤٠٧هـ.
- نونية القحطاني= لأبي عبد الله محمد عبد الأندلسي تعليق محمد بن أحمد السعيد، مكتبة السوراي ١٤٠٩هـ.